المحاضرة 02 : دو افع التسابق الاستعماري الأوربي نحو آسيا و أفريقيا

قبل الوقوف على العوامل والدوافع الخاصة بالحركة الاستعمارية الحديثة يمكن تلخيص الظروف العامة للحركة الاستعمارية الاوروبية نحو نصف الكرة الجنوبي في :

- النهضة الأوربية وانعكاساتها،
- الكشوف الجغرافية وتأثيراتها .
- الصراع الحضاري بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي.
- تراجع الدور الريادي للعالم الاسلامي بضعف الدولة العثمانية .
- الثورة الصناعية ونتائجها.

يقصد **بدو افع الاستعمار** تلك الأفكار والآراء التي برزت منذ نهاية القرن 20 محاولة تفسير ظاهرة المد الاستعماري من خلال الوقوف على مجموعة من النقاط المفسرة لهذه الظاهرة.

الدو افع الاقتصادية:

إن الوتيرة السريعة التي سارت عليها أوروبا في تطورها الاقتصادي نتيجة الثورة الصناعية والتي برزت ملاحمها في النصف الثاني من القرن 18م قد جعلت الحاجة الى المستعمرات أمرا ملحا من أجل البحث عن المواد الأولية الخام لتموين المصانع الأوروبية، والأسواق لتصريف الفائض الإنتاجي بفعل مضاعفة الإنتاج، إضافة الى الحاجة المتزايدة لرؤوس الأموال وبالتالي فتح مجال الاستثمارات خارج أوروبا وبفعل صعوبتها داخل أوروبا ، وحتى التعويض على النقص في المواد الغذائية خاصة بعد الهجرة الداخلية (هجرة سكان الأرياف الى المدن) والنمو الديموغرافي ...

كما حدثت أول أزمة اقتصادية: النكسة الكبرى والتي جرت ما بين 1873 و 1895 والتي تزامنت مع مؤتمر برلين2، وقد مست هذه الأزمة البلدان الرأسمالية بانتقالها إلى جيل ثان من الإنتاج الصناعي.

يندرج كذلك تحت نظرية تدويل الرأسمالية من خلال ان اروبا هي المركز الرأسمالي حيث تعمل على نشر أيديولوجيتها الرأسمالية في المحيط المتمثل في البلدان الأخرى كي تصبح سائرة في فلكها ومرتبطة اقتصاديا معها والمقصود هنا آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وجزر المحيطات ...

وبدت فكرة التدويل بظهور مذهب المركانتيلية الذي برزت في أروبا مع الثورة الصناعية كتيار فكري تعود جذوره إلى عصر النهضة في القرن 15. فالاستعمار كان لحد كبير نتيجة لحتمية اقتصادية على حد قول **اكينسون**، حيث رأى أن مستوى التطور في أوروبا كان في مرحلة المركانتيلية التجارية التي لم تسجل تطورا بتسويقها والحصول على رؤوس الأموال التي أودعت في البنوك واستعملت في المدارس والمستشفيات.

الدو افع البشرية:

إن البحث عن مجال لإسكان الفائض البشري كان أحد العوامل الاستعمارية خاصة بعد تحسين النمو الطبيعي (نظرية الانتقالية الديموغرافية) بحيث تضاعف عدد السكان في عدة دول مثل إنجلترا على مرتين ما بين سنتي 1851 و 1911 حيث اضحى عدد السكان 36 مليون نسمة.

كما مكنت الثورة الصناعية من إنتاج أدوية حسنت الرعاية الصحية ووضعت حدا للأوبئة. وتطورت المدن بفعل الهجرة وتضاعفت لندن ب 6 مرات خلال القرن 19، وفي هذا الإطار عمدت الدول الكبرى لتشجيع الهجرة نحو أفريقيا وآسيا للتخلص من الفائض. إضافة إلى رغبة هذه الدول للتخلص من المعارضين، والمغامرين والبطالين والصعاليك وذلك للتخفيف من أزمات البطالة والآفات الاجتماعية...

يعتبر الباحث جوزيف شامبرلن من الباحثين الأوائل الذين اتخذوا من علم الاجتماع والانثروبولوجيا أداة ووسيلة لتفسير هذه الظواهر الجديدة ، فالانقلاب الصناعي في أوروبا صاحبه تحسنا في ظروف المعيشة واستعمال الآلات الحديثة في العمل فتزايد عدد السكان وتفشت البطالة وأصبحت الدول الأوروبية تبحث عن مناطق أخرى لتصدير الفائض من السكان لتقلل بذلك نسبة البطالة والمشاكل الاجتماعية الناتجة عن ذلك .

العوامل السياسية والعسكرية:

-السيطرة والرغبة في إقامة امبراطوريات كبرى تهيمن على العالم مع اتباع استراتيجية احتلال المناطق ذات الموقع الجغرافي الممتاز لتأمين مواصلاتها مع الطرق التجارية نحو الشرق بحيث فرضت بريطانيا حمايتها على جبل طارق 1713 – مالطا - قبرص 1914 – قناة السويس 1882- خليج عدن...

وبالتالي كانت رغبة الدول الاستعمارية الاستفادة من المستعمرات، وذلك باستغلال الموقع الاستراتيجي الممتاز لبعض المستعمرات واتخاذه قاعدة بحرية أو عسكرية ، والعمل على تجنيد سكان المنطقة لصالحها في الحرب وهذا ما قامت بريطانيا من أجل الحصول على مناطق ومراكز للتزويد بالوقود للعملات العسكرية لأسطولها البحري ليتمكن من السيطرة على جل الطرق البحرية ، وهذا ما يؤكده (جول فيري) من خلا قوله :"*إن السياسية الاستعمارية ضرورية لكي يحصل الأسطول على مواقع للرسو والتزود بالوقود*" وأضاف "*هذا السبب الذي يدفعنا للحصول على تونس والسبب الذي يدفعنا للحصول على سايجون والكوشين في الصين ، والسبب الذي يدفعنا للحصول على مدغشقر*"

- البحث عن مناطق لإقامة القواعد العسكرية لضمان الاتصال بالمستعمرات وتكريس الهيمنة وحماية الاساطيل التجارية، والتدخل بسرعة في حالة نشوب ثورات...

إضافة للرغبة في استرجاع أمجاد القومية خاصة إيطاليا وألمانيا بعد استكمال وحدتهما 1870-1871. وسعي الأنظمة الى حل مشاكلها السياسية عن طريق توجيه أنظار شعوبها إلى الخارج شان شارل العاشر عند احتلال الجزائر.

تطور الأفكار الاستعمارية لدى بعض ساسة أوروبا من خلال ضهور شخصيات سياسية تؤمن بأن التوسع الاستعماري هو السبيل للقوة و الهيمنة مثل جول فيري (فرنسا)– بنيامين ديزرائيلي- جوزيف

تشمبرلين (بريطانيا)– اوتو فون بيسمارك(المانيا). في المقابل هناك من يرجع هذا العامل لعلاقة الإنسان في حبه في التملك والسيطرة، وبالتالي يرجع مجموعة من الباحثين الحركة الاستعمارية الأوروبية للعامل النفسي المتأصل في نفوسهم وهو حب الامتلاك والعظمة والتقليد والتنافس وغير المشروع وحب القوة والسيطرة...

يقول (**جول فيري**) "*إن الاستهلاك الأوروبي قد تشبع وأنه لا يمكن إلا للسياسة الاستعمارية أن تجد :"الطبقات الجديدة من المستهلكين" واعتبارها "صمام الأمن* ".

الدو افع الحضارية والدينية:

تعود جذور هذا الدوافع إلى القرون الوسطى في إطار التوسع في شكل حركة مد وجزر بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي منذ الصراع الاسلمي البيزنطي والتوسعات الإسلامية في الاندلس وجنوب شرق اروبا...

ومن الآراء التي استندت إليها الكنيسة الكاثوليكية أنها هدفها إيقاظ الشعوب المتخلفة وإحيائها عن طريق التبشير والتنصير حيث كانت تدعي الدول الأوربية تبليغ الرسالة الدينية من خلال البعثات التبشيرية التي تسترت وراء العلم والخدمات الاجتماعية

من جانب آخر كان ادعاء نشر الحضارة لدي الأوروبيين جليا من خلال فكرة رسالة الرجل الأبيض، وتثبيت الفكر الاستغلالي لديه ونشر الثقافات واللغات الأوروبية، فهذه الآراء **تتعلق بالدافع الإنساني** حيث اعتقد تشمبرلين أنه من واجبهم الأخذ بأيدي الأفارقة والأسيويين باعتبار أنظمتهم بدائية ولابد من تقديم المساعدات لرفع هذه الشعوب إلى مستوى المدنيات المتحضرة ومن ثم ذهب البعض إلى اعتبار الاستعمار نعمة على الشعوب المتخلفة بل قال وأن الأوروبيين ضحوا براحتهم بغية نشر هذه النعم وعرفت هذه الفكرة في إطار ما يسمى "مسؤولية الرجل الأبيض".

ولكن التصريح الذي أدلى به عضو مجلس الشيوخ البريطاني (لورد اوليفر) كان معاكس لنية الرجل الأبيض حين قال :"*ليس ثمة امة استعمرت بلدا من اجل الإنسانية وحب الخير لأهله* " والامر كذلك قد ينطبق على فكرة تجارة الرقيق ...